

- ١ - كتابه في بيان ما في قوله تعالى ...
- ٢ - ...
- ٣ - ...
- ٤ - ...
- ٥ - ...
- ٦ - ...
- ٧ - ...
- ٨ - ...
- ٩ - ...
- ١٠ - ...
- ١١ - ...
- ١٢ - ...
- ١٣ - ...
- ١٤ - ...
- ١٥ - ...
- ١٦ - ...
- ١٧ - ...
- ١٨ - ...
- ١٩ - ...
- ٢٠ - ...
- ٢١ - ...
- ٢٢ - ...
- ٢٣ - ...
- ٢٤ - ...
- ٢٥ - ...
- ٢٦ - ...
- ٢٧ - ...
- ٢٨ - ...
- ٢٩ - ...
- ٣٠ - ...
- ٣١ - ...
- ٣٢ - ...
- ٣٣ - ...
- ٣٤ - ...
- ٣٥ - ...
- ٣٦ - ...
- ٣٧ - ...
- ٣٨ - ...
- ٣٩ - ...
- ٤٠ - ...
- ٤١ - ...
- ٤٢ - ...
- ٤٣ - ...
- ٤٤ - ...
- ٤٥ - ...
- ٤٦ - ...
- ٤٧ - ...
- ٤٨ - ...
- ٤٩ - ...
- ٥٠ - ...
- ٥١ - ...
- ٥٢ - ...
- ٥٣ - ...
- ٥٤ - ...
- ٥٥ - ...
- ٥٦ - ...
- ٥٧ - ...
- ٥٨ - ...
- ٥٩ - ...
- ٦٠ - ...
- ٦١ - ...
- ٦٢ - ...
- ٦٣ - ...
- ٦٤ - ...
- ٦٥ - ...
- ٦٦ - ...
- ٦٧ - ...
- ٦٨ - ...
- ٦٩ - ...
- ٧٠ - ...
- ٧١ - ...
- ٧٢ - ...
- ٧٣ - ...
- ٧٤ - ...
- ٧٥ - ...
- ٧٦ - ...
- ٧٧ - ...
- ٧٨ - ...
- ٧٩ - ...
- ٨٠ - ...
- ٨١ - ...
- ٨٢ - ...
- ٨٣ - ...
- ٨٤ - ...
- ٨٥ - ...
- ٨٦ - ...
- ٨٧ - ...
- ٨٨ - ...
- ٨٩ - ...
- ٩٠ - ...
- ٩١ - ...
- ٩٢ - ...
- ٩٣ - ...
- ٩٤ - ...
- ٩٥ - ...
- ٩٦ - ...
- ٩٧ - ...
- ٩٨ - ...
- ٩٩ - ...
- ١٠٠ - ...

الاسلوب الحسن هو أحد العوامل التي يؤثر على الداعية التي
 لهتمل في الرسول إلى غاية تأثير السبل وأقل التكاليف
 الحاجة ماسة إلى الأسلوب الحسن الذي يتناسب مع جهود كل

الاسسُ الفنيه للدعوة الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة

وإنما العلم سر أع فيكون كالطبيب يعرف أعراض المرض
 ومرأته ثم يشرح أسبابه ويوضح هل علم ومعرفة حتى يتمكن
 العلاج الذي يتم به الشفاء والداعية الناجح كالطبيب الناجح
 أي يبدأ بالوضع الجرم يروج بالعديد من المناهج والتقنيات
 وكذا تتخاطب الناس بما تطلع عليهم من دعوات مستنيرة
 مشوقة تخاطبهم من حيث يفهمون ويؤمنون بها

بقلم

دكتور

مؤلف كتاب "بيننا وبينكم"

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة

الإسلامية بالسكينة

(١) أنظر: ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١ ص٥٢
 (٢) أنظر: باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفيدوا

إن الأسلوب الحسن هو أحد العوامل الذي يوفر على الداعية الوقت والجهد ويسهل له الوصول إلى غاية بأيسر السبل وأقل التكاليف ، والداعية بحاجة ماسة إلى الأسلوب الحسن الذي يتناسب مع جمهوره في كل مجال من مجالات دعوته حتى يصيب هدفه ويبلغ مقصده .

وقد يكون من أم الأمور التي يجب توفرها لدى الداعية معرفة الوسط الذي يكون ميدان عمله ونشاطه فيدرس مشكلاته وميوله وأوضاعه واتجاهاته ... الخ فيكون كالطبيب يتعرف أعراض المرض وتطوره ومراحله ثم يشخص أسبابه وبواعثه على علم ومعرفة حتى يتمكن من وصف العلاج الذي يتم به الشفاء والداعية الناجح كالطبيب الناجح يعرف من أين يبدأ؟ والمجتمع اليوم يموج بالعديد من المذاهب والتيارات والاتجاهات وكلها تتجاذب الناس بما تطلع عليهم من دعايات منمقة وأساليب مشوقة تخاطبهم من حيث ينصتون، وتأنيم من حيث يشعرون، تلامس حاجاتهم، وتحنس أمراضهم . ودعاة الإسلام يجب أن لا يسكوتوا أقل عناية واهتماماً بأساليب دعوتهم من غيرهم فيخاطبون الناس بما يتلاءم مع عقولهم فيجعلون لكل مقام مقالاً فلاهل الحضر أسلوب يختلف عما عليه أهل البدو والريف وقد ورد في الحديث الشريف مرفوعاً عن علي كرم الله وجهه (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟) (١) إن الإسلام في هذا العصر بحاجة ماسة إلى دعاة يحسنون عرض مبادئه بأسلوب شيق جذاب يحببون الناس فيه بدلاً من تنفيرهم منه ، ويوضحون أفكاره فلا يعقدونها ، وكمن دعاة شوهوراً

تَيْمُّنُ كَلِمَاتٍ مَعْدِلًا تَيْمُّنًا سَيِّئًا

مَنْ سَأَلَ تَنْتَافَعًا وَتَمَنَّى

بِسْمِ

عَرَفْتُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أنظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ ص ٢٢٥ كتاب العلم . باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

الإسلام بسوء طريقته وأسائه وإليه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ومن هنا كانت وظيفة الدعاة: دقيقة وحساسة وتتطلب كثيرا من اللباقة والكياسة والحكمة.

وفي السيرة النبوية نماذج مضيئة ومتعددة الأسلوب الأخاذ النافذ الذي كان يبلغ به رسول الله ﷺ دعوته بحكمة ولباقة وحسن توجيه، وعلى الداعية أن يجدد أسلوب دعوته في حدود ما يسمح به الإسلام، ومرونة الإسلام تقتضي الدعوة بأسلوب العصر ولغته وبمختلف الوسائل المشروعة التي تضمن نقل الإسلام إلى الناس في أبهى صورة وأحسن وجه. وإدراك الداعية لهدفه يوفر عليه الوقت والجهد ويجعل سيره وانطلاقه على هدى وبصيرة، ويجدر بالداعية أن يعرف ما يريد من كل خطوة يخطوها ومن كل عمل يقوم به سواء في مجال الخطابة أو الكتابة أو المناقشة حتى يكتب الله له التوفيق ويكامل مساعاه بالنجاح، وهذا منتهى أمله ومناه ومن هنا كان هذا البحث محاولة جادة لتعريف الدعاة بالأسس الفنية التي يجب أن يتمسكوا بها في تبليغهم دعوة الله حتى يحقق الله لهم من دعوتهم ثمرتها المرجوة وأملها المنشود بإذن الله. في ضوء ما ورد في القرآن الكريم وسنة المعصوم ﷺ.

تمهيد:
إن كل خير في الوجود لا بد له من رجال يدعون إليه ويدافعون عنه ويشرحون حقيقته ويدينون، أغراضه ومراميها فالحق وحده لا يستوي قائما أمام أعاصير الحياة وغواية الشيطان، وغرائز الإنسان الفطرية التي تدعو إلى التحلل، ولذا كان من رحمة الله أن بين للدعاة المنهج الذي ييسر لهم أداء واجبهم، ويؤثر في جماهيرهم، وتبلغ به العظة منهم المبلغ الذي تستقيم به حياتهم ويصلح به شأنهم، ولست بأول من تناول موضوع

البحث بالدراسة ولكن سبقني بالكتابة فيه علماء أجلاء لهم مكانتهم في الدعوة إلى الله علما وعلماء من المشهود لهم بالفضل بين الناس والمنزلة الكريمة عند الله تعالى بما قدموه من جهاد لإعلاء لكلمة الله ولكن لأهمية الموضوع الدعوة والدعاة أردت أن أتناوله بالمعالجة بطريقة عصرية راجيا أن أقدم بعملى هذا زادا للدعاة يخدمون به الدعوة ويكون توجيهها متواضعا لهم إلى كيفية قيامهم بواجبهم وأدائهم لعمليهم. ومن هنا كان عنوان البحث (الأسس الفنية للدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة) وقبل الدخول في الموضوع يحسن بي أن أوضح معنى العنوان لأننى ما يكون قد علق في ذهن القارئ تجاهه من إبهام وغموض فالأسس جمع أساس، وهو ما يبنى عليه الشيء، ولا يقوم الأمر إلا به، وأى خلل في الأساس يهدد البناء بالدمار والغناء، وأى نقص فيه يغير معالم البناء، ويصبح الحاصل شيئا آخر غير المقصود، فنلا لاستطيع أن نشيد ثلاثة جدران ثم ندعى أن هذا البناء غرفة مربعة الشكل ولا نستطيع أن نزع من البناء الشامخ ذا الطوابق المتعددة والغرف الكثيرة والآثاث الوفير مدرسة دون أن يوجد فيه الطلاب والمدرسون، وكما أننا لا نستطيع أن نقول ذلك دون استكمال الأركان والأسس لا نستطيع أن نقول إن هذه هي الدعوة الإسلامية دون أن نتحقق فيها كل الأسس التي ذكرها لنا القرآن الكريم مكتملة وطبقها الرسول ﷺ، ولعل هذا هو السر في تحديد القرآن الكريم لمعاملها كما سنوضحه فيما بعد، حتى لا يلتبس الأمر على الدعاة، ولا يزعم زاعم أن الدعوة يمكن القيام بها مع فقد شيء من أسسها، ولذا حدد القرآن الكريم الإطار العام الذي لا تقوم الدعوة إلا به وأكد على ضرورة استكمال هذه الأسس ووضح للدعاة طريقة العمل لتسكون ماثلة في أذهانهم لا يهرفهم عنها صارف مهما كان ولا تتحول أفكارهم إلى غيرها مهما كانت المغريات ليحقق الحق ويبطل الباطل أما وصف

الأسس بالفنية فذلك لازم من لوازمها لا ينفك عنها لأنه تابع من نوع أساليبها فلا بد أن يكون الداعية على علم كامل وبقين راسخ أن لكل جمهور من الناس أسلوباً مناسباً يتناسب مع فكره وثقافته وميوله واتجاهاته وطبيعة عمله تسهل من خلاله مخاطبته وإقناعه واستمالته ، فالعوام مثلاً لا يتناسب ما يخاطب به المثقفون ، وكذلك كل طائفة من الناس لهم أسلوب مخاطبتهم ، وفي كل الحالات يجب أن يكون الأسلوب فنياً حتى يكون مشوقاً وجذاباً فينعكس ذلك على مدى استجابتهم للرسالة المرجوة إليهم مما يلفت نظرهم ويثير اهتمامهم . خصوصاً إذا ما اهتدى الداعية بهدى القرآن الكريم وأخذ بقسط وافر من منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله وفي التعريف بالدعوة مزيد من الإيضاح .

مفهوم الدعوة :

أولاً في اللغة : (مأخوذة من الفعل دعا ومعناها مطلق الطلب لأي شيء ما حسى كطعام أو معنوي كفسكرة يقال : دعا بالشيء طلب إحضاره ودعا إلى الشيء حثه على قصده فيقال دعا إلى القتال ، ودعا إلى الصلاة ، ودعا إلى الدين وإلى المذهب : أي حثه على اعتقاده وساقه إليه)^(١) .

ثانياً : أما في الاصطلاح : فقد تنوعت التعريفات وتعددت لدى الكتابيين والباحثين تبعاً لاختلافهم في تحديد مفهوم كلمة الدعوة من جهة وتفاوت نظرهم إليها من جهة أخرى .

(١) أنظر المعجم الوسيط مادة (دعا) ج ١ ص ٢٨٦ المصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

فن العلماء من عرفها تعريفاً عاماً يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه فقال (هي الضوابط السكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات)^(١) .

ومنهم من قصر التعريف على بعض جوانبها فعرّفها بأنها (حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)^(٢) وقال آخر هي (العلم الذي به تعرف كائناً المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى قبليخ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)^(٣) .

ومنهم من أدخل في تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها فعرّفها بأنها (برنامج كامل يعم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليصبروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريقة التي تجمعهم راشدين)^(٤) .

وعرّفها آخر بقوله (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم ، وهي أيضاً ندية لإيقاظ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو من معصية كادت تحق بهم)^(٥) .

(١) الشيخ محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ١٢ دار

العربية للطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٧١ م

(٢) الشيخ محمد الحفص حسين : الدعوة إلى الإصلاح ص ١٧

(٣) د/ أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ص ١٠ ط أولى بيروت

سنة ١٩٧٨ م

(٤) الأستاذ : محمد الغزالي ، مع الله ص ١٧

(٥) الشيخ آدم عبد الله الألوري : تاريخ الدعوة بين الأمل واليوم :

ص ١٧

ومنهم من عرفها بقوله هي : (نقل الأمة من محيط إلى محيط) (١) .
ومنهم من عرفها بقوله (هي الحركة الإسلامية في جانبها النظري والتطبيقي) (٢) .

ولعل أشمل وأدق ما ورد في تعريفها قول بعضهم هي (تبليغ الإسلام للناس وتعليمه لإياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة) (٣) وترجيحي لهذا التعريف لماشيء من اشتغاله على مراحل الدعوة الثلاثة وهي التبليغ ، والتكوين ، والتنفيذ ، إنه متفق في عناصره الثلاثة مع عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعمل رسوله صلى الله عليه وسلم الذي خصه الله بالذكر في أكثر من موضع في كتابه فقال سبحانه وتعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (٤) .

فقد شمل قوله تعالى (يتلو عليهم آياته) البيان والتبليغ وهو العنصر الأول من التعريف كما شمل قوله تعالى : (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب) التربية والتعليم ، وهو العنصر الثاني المبرر عنه بالتكوين ، كما شمل قوله تعالى : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) التطبيق والتنفيذ والمراد بالكتاب هنا القرآن الكريم ، والحكمة : السنة النبوية كما ذهب إلى ذلك جمهور

- (١) الأستاذ البهي الخولي : تذكرة الدعاة : ص ٣٨
- (٢) د/ زهوف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهدنا المعاصر ص ٣٨ ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٤
- (٣) د/ محمد أبو الفتوح البيبانوني : المدخل إلى علم الدعوة ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٩١
- (٤) أنظر الآيات : ١٢٩ ، ١٥١ من سورة البقرة ١٦٤ - من آل عمران ، ٢ - من الجمعة .

العلماء (١) ، والسنة في حقيقتها (الطريقة) أي طريقة تطبيق هذا القرآن فقد أوضحت السنة للمسلمين طريقة تطبيق القرآن على مستوى الأفراد والجماعات .

وعلى كل حال فإن كلمة الدعوة تطلق على حقيقتين اثنتين : الأولى : حقيقة الإسلام كدين شاملا كامل بما يحتوي عليه من عقيدة وشريعة وأخلاق ، النافية : بيان هذا الدين وتبليغه للناس أجمعين ، ولهذا قيل إن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام كدين وعلى عملية نشره وتبليغه للناس ، وسياق الكلام هو الذي يحدد المعنى المراد فمثلا إذا قيل هذا من رجال الدعوة إلى الله كان معنى الدعوة هنا محاولات النشر والتبليغ ، وإذا قيل اتبعوا دعوة الله كان المراد الإسلام وهكذا ، وإذا ذكرت على إطلاقها فإنها تنصرف عرفاً إلى المعنى الثاني وهو محاولة نشر الإسلام وتبليغه للناس وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وقد ذكر القرآن الكريم في كثير من آياته الأسس القويمة للأسلوب الأمثل في تبليغ الدعوة التي شرف الله بها البشرية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكذلك الطريقة التي يجب على الدعاة أن يلتزموا بها حتى يكتب لهم التوفيق في تبليغ الرسالة وتأييد الأمانة وفيما يلي توضيح ذلك .

الأسس الفنية للدعوة الإسلامية

إن الآية الكريمة التي ذكرت بعض هذه الأسس نصها هي قول الله سبحانه وتعالى : (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ

(١) أنظر تفسير الآية في أمهات كتب التفسير وما أكثرها .

بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين^(١).
وقد جمعت هذه الآية الكريمة بعض أسس الدعوة الإسلامية ورسمت كيفية ممارستها وتنفيذها نظرياً وعملياً في الوقت الذى تطلبت فيه الداعية وتؤكد له بأنه غير ملزم بالنتائج حيث تختمت بقول الله سبحانه (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

وهذه الأسس اختلفت نظرة الباحثين إليها فهم من جعلها أساساً واحداً ومنهم من نظر إليها على أنها ثلاثة أسس قد توجه في وقت واحد لمجتمع واحد وقد يستخدم أحدها أو اثنين منها أو كلها حسب الموقف الذى يقتضيه المقام ، وحسب الجمهور والأسلوب والرسالة وما تقتضيه الظروف والأحوال المتباينة التى يسكون الداعية على علم وبصيرة بها .

وهذا ما أرجحه وأميل إليه وقد ذهب هذا المذهب بعض المفكرين ومنهم الإمام الغزالي حيث قال (إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم وعلل ذلك بقوله : فإن الحكمة إن غدى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلعم الطير ، وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن الأدمى ، وإن من استعمل الجدل مع أهل الجدل لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غدى البدوى بحبذ البر وهو لم يألف إلا التمر ، أو البلى بالتمر وهو لم يألف إلا البر)^(٢).

(١) الآية ١٢٥ / النحل .
(٢) الإمام الغزالي : القسطاس المستقيم ص ١١ ، ١٢ . والألوسى : تفسير روح المعاني ج ١ ص ٢٤٥ .

وقد علق د / رموف شلبي على هذا بقوله : (وهو تصنيف مقبول إذا نظرنا إلى الأساليب الثلاثة مجوأة ، ولكن إذا نظرنا إلى أحوال الشخص الواحد وأنه قد تعثر به حالات ثلاث حالة الفطنة وحالة الوجدان والعاطفة ، وحالة الكبرياء والذاتية أدركنا أن هذه الأساليب الثلاثة تصح لرجل واحد قد يكون في حالة تستدعى الخطاب بالحكمة أو الموعظة الحسنة وبالجدال بالتى هي أحسن^(١) .

ويقسم بعض العلماء الجمهور إلى طوائف ثلاث متباينة : ويجعل لكل طائفة أسلوباً خاصاً .

الأولى : طائفة العلماء : وهم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعانى قوية الإنجذاب نحو المبادئ العالية مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه وهؤلاء يدعون بالحكمة .

الثانية : طائفة العامة : وهؤلاء نفوسهم كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الإلف بالمحسوسات قوية التعليق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجة البرهان لكن لا عناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة .

الثالثة : طائفة المجادلين : وهى طائفة معاندة مجادلة بالباطل تقصد دحض الحق لما غالب عليها من تقليد الأسلاف ورسخ فيها من العقائد الباطلة وهؤلاء ينبغي أن يسكون الجدل معهم بالحسنى لا يشوبه عنف ولا تخالطه غلظة بل تواجه الحججة بالحجة وتقاوم الفكرة بالفكرة على أساس من المنطق السليم ابتغاء تجلية الحق والكشف عن وجه الصواب^(٢).

(١) د / رموف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهدنا المبكى ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ط بمجمع البحوث الإسلامية القاهرة سنة ١٩٧٤ .
(٢) أنظر الألوسى : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ج ١٤ = ١١

هذا وقد أشار الرازي في تفسيره إلى هذا التقسيم وذكر أن البشر بالنسبة لسكال الطبع طرفان وواسطة ، فالطائفة الأولى التي تمجده إليها الحكمة هي طرف السكال ، والطائفة الثالثة : المجادلة هي طرف النقصان ، والطائفة الثانية صاحبة الموعدة هي الواسطة وهم الذين ما بلغوا في السكال إلى حد الحكمة المحققين كما لم يبلغوا في النقصان والذلة إلى حد المشاغبين الخاصين بل هم أقوام بقوا على الفطرة الأصلية والسلامة الخلقية ويقولون لأن معنى قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك... الخ الآية) أي أدع الأقوياء السكاملين إلى الدين بالحكمة... وعوام الخلق بالموعدة الحسنة والتسكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن (١) .

وتقسيم الناس إلى طوائف ثلاث بحسب طبائعهم كما سبق تقسيم لطيف بين لأن من الناس من يريد التعمق ويكره السطحية ولا يهدأ له بال إلا باليقين الحقيقي القائم على الفكر والتدبير ومنهم من يستهويه موضوع مشير وفطرة طيبة فيقف أمام اللفظة الجميلة والمثل النادر والقصة الشيقة... الخ ومنهم من يهوى اللجج وبمشقه وينازع ويجادل لكن ليس معنى هذا التقسيم أن كل طائفة تغاير الأخرى تماما إذ من الناس من يجمع في طبيعه أكثر هذه الصفات وعلى هذا فسوف أتحدث عن كل واحدة من هذه الأسس على حدة أما ممارستها فيمكن أن تكون منفصلة أو مجتمعة وذلك حسب موقف الدعوة وما تتطلبه وموقف الداعية وما يراه وموقف الجمهور وما يناسبه .

٢٥٤ ط ١ القاهرة طبع ونشر المطبعة المنيرية . الشيخ سيد سابق : دعوة الإسلام ص ٣١ ، ٣٢ ط ١ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٧٣ (١) الرازي : مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ (٢)

أولا : الحكمة

والحكمة من أهم الأسس الفنية في الدعوة إلى الله ، والوقوف على معناها لغة واصطلاحا يعين على فهم المنهج الذي سلمه الرسل والأنبياء في قيامهم بما يجب عليهم نحو تبليغ دعواتهم حتى أصبحوا قدوة للدعاة من بعدهم .

أولا : معناها في اللغة : تطلق الحكمة في اللغة على معان عدة منها :

العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل ، والسنة وما إلى ذلك من إطلاقات ، كما تطلق على العلة يقال حكمة التشريع ، وما الحكمة إذن ؟ وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه ، ويقال للرجل حكيم : إذا أحكمته التجارب وأحكمت الأمر أتقته... الخ (١) .

ثانيا : في الاصطلاح : أما في الاصطلاح فقد عرفها العلماء تعريفات

كثيرة مأخوذة من المعنى اللغوي ، من ذلك الحكمة : (إصابة الحق بالعقل والعقل) فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات ، وفعل الخبرات (٢) .

ومنها (الحكمة : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)

ومنها : الحكمة : (وضع الأشياء مواضعها) ومنها الحكمة : (الإصابة في

(١) أنظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (حكم) ج ١٢ ص ١٤٠ ،

١٤٣ ، والمعجم الوسيط ج ١ ص ١٨٩

(٢) أنظر الراغب : مفردات القرآن ص ١٢٧

القول والعمل معا (١) وفسر ابن كثير (الحكيم بقوله): (الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محالها) (٢).

غير أن أكثر التعريفات المناسبة من ناحية علاقة الحكمة بالشرع وبالإنسان وبالواقع وبالغاية وارتباطها بمفهوم الدعوة هو (أنها حاسة الصواب الكامنة في كيان الداعية محددة له في واقع الدعوة سبيل الوصول إلى الغاية) (٣).

إلى غير ذلك من تعريفات عديدة ، يستفاد منها أن أسلوب الحكمة هو الأسلوب الذي به يضع الداعية الشيء موضعه ، فيستطيع من خلاله أن يصل إلى غايته ، وأن يتعرف على أحوال جمهوره وما يناسبه من مناهج وأساليب ووسائل فيكون مقدرًا لظروف الجماهير فلا ينقل عليهم ولا يشق بالتسكليف قبل أن يهيء نفوسهم لتقبلها، منوعًا للطريقة التي يخاطبهم بها وفق مقتضيات أحوالهم فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز في هذا كله وفي سواه (٤).

(١) ابن حبان : البحر المحيط ج ١ ص ٣٩٣ (٢) (٣) (٤)

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٨٤

(٣) رفاعي مرور : حكمة الدعوة ص ٥ - ٨ ط مكتبة وهبه القاهرة .

(٤) أنظر المرجع السابق ص ٩١ (١) (٢)

من مظاهر الحكمة في الدعوة إلى الله

تعدد مظاهر الحكمة وتنوع نظرها لسكثرتها ذلك لأن الحكمة هي السداد في القول والعمل وفي حياة الرسول ﷺ أمثلة كثيرة ونماذج مضيئة يستبين الدعاة من خلالها مدى حكمته صلى الله عليه وسلم في تبليغه لدعوته منها ما يلي .

١ - اختياره ﷺ المنهج المناسب لا يتلام معه من الأحوال والمواقف فما يصلح لموقف لا يصلح لآخر وما يناسب حالة لا يناسب مع أخرى ومن هنا استخدم النبي ﷺ كلا من المنهج العاطفي والعقلي معا مع الشباب الذي جاء يستأذنه بالزنا ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أئذن بالزنا ، فأقبل القوم عليه فوجروه وقالوا : مه ، مه ، فقال : (اذنه) فدنا منه قريبا فخاص ، قال أتجبه لأمك ؟ قال لا ... قال : ولا الناس يجبونه لامهاتهم ، قال أتجبه لابنتك ؟ قال لا ... قال ولا الناس يجبونه لآخواتهم قال أتجبه لعمتك ؟ قال لا ... قال ولا الناس يجبونه لعماتهم قال : أتجبه لخالتك قال لا ... قال ولا الناس يجبونه لخالاتهم قال : فوضع يده عليه وقال . (اللهم أعقر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء) (١).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ وقال عنه الطيتمى في مجمع الزوائد ، رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجالهم وجمال الصحيح ج ١ ص ١٢٩

فطلب رسول الله ﷺ من الشباب أن يدنوا منه ووضع يده عليه ودعاؤه له كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يأمر القلوب وبلين النفوس ويحرك الشعور والوجدان ، ومناقشته ﷺ للشباب باستخدام القياس المساوي ومجادلته له بالحسنى من أساليب المنهج العقلي واستخدام هذين المنهجين في هذا الموقف من مظاهر حكمته البالغة صلى الله عليه وسلم في الأساليب .

ذلك لأن مجيء الشباب المسلم مستأذنا الرسول ﷺ بالزنا دليل قاطع على ضعف إيمانه واضطراب شخصيته وتحكم غريزته بما دفعه إلى التفكير في الزنا إلا أن إيمانه كان حاجباً له من الوقوع فيه . والامتدنان بالزنا دليل على وجود نفسه اللوامة التي تؤكد على وجود الحالة المرضية فيه من جهة وكذا وجود الخير في الشباب من جهة أخرى وإلا لذهب واقترب الإثم كما يفعل غيره فانتضى تشخيص النبي ﷺ لحالته النفسية استخدام كلا المنهجين حتى أبقده من الوقوع فيه وأعادته إلى التوازن والصواب ، وأبعده عن طريق الغواية والشيطان .

ومن حكمته ﷺ في أسلوب الدعوة موقفه من الأعرابي الذي تناوله بلسانه . حين لم يرضه عطاؤه وغضب الصحابة من ذلك الأعرابي وهو ما يقتله وكيف أن الرسول عفا عنه ومنحه المزيد من العطاء حتى قال الرجل حين سأله الرسول ﷺ قائلاً : أحسنت إليك ؟ قال نعم فجسواك الله من أهل وعشيرة خير أفعال له النبي ﷺ : (إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن شئت فقل بين أيديهم حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال : نعم فلما كان الغداة أو العشي جاء فقال النبي ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال فودناه فوعم أنه رضى فكذلك قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال ﷺ : إن مثل ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نضوراً فناداهم صاحبها أن خلوا

بيتي وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قام الأرض فردها حتى جاءت فشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) (١) .

فقد استخدم الرسول ﷺ مع هذا الرجل المنهج العاطفي استمالة ، واسترضاء عن طريق المال لحبه له ، كما كان في مجادلة الرجل ومناقشته له بعد إرضائه حتى جعله يتراجع عن مقولته في شأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - واستعداداه لأن يفصح عن دخيلته أمام أصحابه ليذهب ما نفوسهم منه استخدام المنهج العقلي وهذا من مظاهر حكمته البالغة - صلى الله عليه وسلم .

٢ - اختيار الشكل المناسب من أشكال أساليب المنهج المختار كما كان يفعل الرسول ﷺ ، ذلك لأن الحكمة تقتضي اختيار الشكل المناسب لكل موقف فما يقال في الأفراح يختلف عما يقال في الأتراح وما يقال في الشدة غير ما يقال في الرخاء ، وللاثرهيب موقف يغير موقف الترغيب وهكذا .

ولذلك اختلف أسلوب رسول الله ﷺ مع الأعرابي الذي جاء مسترخياً سائلاً عن الواجبات والفرائض ثم قال : (والله لأزيد على هذا ولا أنقص) (٢) عن موقعة مع فقراء المسلمين الذين جاءوا يستزيدون من

(١) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ١٢٣ -

(٢) رواه البخاري - أنظر ابن حجر فتح الباري بشرح صحيح

الحير فقالوا: (ذهب أهل الدور بالأجور) (١).

ومن هنا كان من الواجب على الدعوة مراعاة الظروف والأحوال الفردية والجماعية فإن أسلوب الدعوة يختلف من ظرف إلى ظرف ومن حال إلى حال فمثلاً أسلوب العمل في حمل الدعوة في دولة مسلمة يختلف عن أسلوب العمل في دولة غير مسلمة أو معادية فإن من الحكمة في الدولة المسلمة أن يكون العمل في حمل الدعوة من خلال المؤسسات الرسمية القائمة فيها التي تقرها وتعترف بها ولا يحسن العمل من خلال التنظيمات السرية والمؤسسات المناهضة وذلك لأن واجب الدعوة تجاه الدولة المسلمة القائمة المحافظة عليها والعمل على إصلاحها وتقويتها مهما كانت ضعيفة أو ظالمة أو فاسدة، أما واجبه في حال عدم وجودها فهو العمل على إيجادها.

وقد أخطأ الحكمة كثير من الدعاة في هذا الجانب فصوروا الدعوة الإسلامية بالصورة المعادية للدولة القائمة مهما كان شأنها دون التفريق بين دولة وأخرى، فكثروا بذلك من أعدائهم، وقللوا من أصدقائهم واختاروا العيش بدعوتهم في الظلام مما نفر الناس منها وقلل من آثارها في حياة الناس.

من ذلك ما ذكره الشيخ محمد باقر الصدر في كتابه "الدين والسياسة" (ص ١٠٠) حيث يقول: "من ذلك ما يشهد على أن دعوتهم من غير أن يكونوا في ظلها".

(١) رواه مسلم - انظر صحيح مسلم ج ١٢ ص ٦٩٧ ط دار إحياء التراث - بيروت.

من خصائص الحكمة

١ - لا يمكن تعلمها واكتسابها، لأن الحكمة خلق حسن وصفة كريمة يمكن اكتسابها كأي صفة من الصفات وخلق من الأخلاق قال تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) (١) وفي الحديث (... ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) (٢).

ومن أساليب تعلمها واكتسابها ما يأتي :-

(١) تخلق الداعية بتقوى الله تعالى لأن الحكمة منحة من الله لمن يشاء من عباده. كما قال سبحانه: (يؤتي الحكمة من يشاء) (٣) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (٤) ولا بد لمن يطلبها من المعطى أن يتقيه ويخلص له القلب والنية والعمل والقيادة والعبودية.

(ب) العمل بها وتطبيقها في مجالات الدعوة ومجاهدة النفس عليها لتصبح منهجاً له في الدعوة وطريقاً إليها. وهذا أمر واجب عليه أن أن يسلكه إن أراد لدعوته النجاح وقد سلكه قبله رسل الله - عليهم الصلاة والسلام.

(١) الآيات: ١٢٩، ١٥١/البقرة، ١٦٤/آل عمران.

(٢) انظر ابن حجر: فتح الباري، ج ١ ص ١٦٥، مسلم: ج ١ ص ٥٥٩ متفق عليه.

(٣) من الآية ٢٦٩/البقرة.

(٤) رواه البيهقي: ج ١ ص ٢٧، مسلم: ج ٣ ص ١٥٢٤، ابن ماجه

ج ١ ص ٨٠

٥٦٦١ ص ٢٧ - ٢٨ باب في قوله: (١) (٢)

(٢٠) - حوлие أصول الدين القامره (٢٠٢)

(ح) اتخاذ الأسباب الموصلة للتفقه في الدين فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : (ما عبد الله بشيء أفضل من ففة في دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولنكل شيء عماد وعماد الدين الفقه)^(١) ، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : (الحكمة ضالة المؤمن يفتشها أنى وجدها فهو أحق الناس بها)^(٣) ، فالفقه والفهم والوعى من الله وطريق كسبه هو الاطلاع والتعلم والبحث والدراسة ، وهذا يحتاج من الداعية إلى السعى طلباً للعلم مع الصبر والمثابرة .

(د) الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كأصلين أساسيين للتشريع الإسلامي يجب البداية بفهمهما فهما صحيحاً حتى يتكون القلب الإسلامي الواعي الحصيف ، وكذا سيرة النبي ﷺ ففيها أكبر الأثر بالتأسي والافتداء .

(هـ) صحبة الحكماء والافتباس منهم ومن سيرتهم والاستفادة من تجاربهم في الدعوة . الخ .

(و) توسيع دائرة الاطلاع بالقراءة والأسفار والاحتكاك بالناس مع التمسك بالقيم الإسلامية أساساً لتقويم كل عمل وقياسه ووزنه ومنحه القيمة التي يستحقها من تكريم أو تهوين واحتكار .

٢ - عظم آثارها في الدعوة فالداعية الحكيم يصل إلى ما لا يصل إليه غيره فيحقق أهدافه من أقرب طريق وبأقل الخسائر وبأفضل النتائج .

(١) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة ج ١ ص ٨١ ، الإمام أحمد

في مسنده : ج ٢ ص ١٣٩٥

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة ج ١ ص ٨١

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ج ٢ ص ١٣٩٥

كما أنه يستطيع أن يزيل الشحنة والبغضاء من القلوب ويقربها من الدعوة والداعية^(١) مصداقاً لقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)^(٢) ، وغير ذلك من الآثار الطيبة ، وبهذا بنحدد الإطار الذي يجب على الداعية أن يدور في فلسفه ولا يتخطاه ، وعدم الالتزام به خروج على المنهج الأصيل الذي حدده القرآن ودعا إليه وبمحافظة للأساس القويم الذي نادى به والدعوة إلى الله حكمة قبل أن تكون قوة أو فصاحة أو مهارة في معالجة الأمور بمحبة قوية وحكمة وروية مع مراعاة الجمهور والظروف والأحوال ، إن الحكمة هي الأساس الأول الذي تقوم عليه الدعوة وبدونها لن تقوم دعوة .

الثاني : الموعظة المحسنة

التعريف بها : أولاً : في اللغة :

الموعظة في اللغة مشتقة من وعظه يعظه وعظاً ، نصحه وذكره بالعواقب وأمره بالطاعة ووصاه بها ... سواء كان بالإستحالة والترغيب أم بالزجر والترهيب ، وقيل . الوعظ : هو الوصية والأمر والموعظة اسم منها^(٣) وجاء في مختار الصحاح : الوعظ : هو النصيح والتذكير بالعواقب يقال السعيد من اعظ بغيره^(٤) والشقي من اعظ به غيره كما يقال وعظته فا تعظ إذا أثرت فيه الموعظة وأفادته .

(١) راجع د/ محمد البيانوني : المدخل إلى علم الدعوة ٢٤٧ص - ٢٥٧

(٢) الآية / ٣٤ / فصلت .

(٣) انظر : لسان العرب مادة وعظ ج ٧ ص ٤٦٦ ، المعجم الوسيط

٢٣ ص ١٠٥٥ . مختار الصحاح مادة وعظ .

(٤) مختار الصحاح مادة وعظ .

(٥) حاشية على كتاب الصلاة ج ١ ص ٢١١

(٦) حاشية على كتاب الصلاة ج ١ ص ٢١١

(٧) حاشية على كتاب الصلاة ج ١ ص ٢١١

وكل اشتقاق في مادة الوعظ. في القرآن الكريم تدور حول النصيح
والأمر والتذكير والزجر كما جاء في تفسير النسفي عند قوله تعالى :
(فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً)^(١) والمعنى فأعرض
عن قبول الأعداء وعظ. بالزجر والإنكار وبالغ في وعظهم بالتهويل
والإنذار^(٢) .

أما في الاصطلاح : فالموعظة الحسنة : هي مجموعة العبر النافعة ،
والخطابات المقنعة والإرشادات المخوفة ، على وجه لا يخفى على المدعوين
أن الداعي يناسخهم بها ويقصد ما يفهمهم^(٣) أو هي مرادفة للنصيحة ولها
أشكال عديدة منها ما يأتي :

١ - القول الصريح اللطيف اللين .

قال تعالى : (وقولوا للناس حسناً)^(٤) .

٢ - الإشارة اللطيفة المفهومة .

٣ - التمرير والكتابة المؤدية والنورية .

٤ - القصة والخطابة المؤثرة والفكاهة .

٥ - التذكير بالنعم المستوجبة للشكر .

(١) الآية ٦٣ النساء .

(٢) النسفي : تفسير النسفي : ج ١ ص ٢٢٢ ط وفسر دار إحياء التراث

العربي بالقاهرة .

(٣) الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ج ١٤ ص ٢٥٤ ط

أولى المطبعة المنيرية القاهرة .

(٤) الآية ٨٣ البقرة .

٢٢ (٥) لقان يطالعه أقباه - ٠٦

٦ - المدح والذم .

٧ - الترغيب والترهيب .

٨ - الوعد بالنصر والتكبير .

٩ - التحمل والصبر .

وغير ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعوين وتدفعهم
إلى الطاعة والاستجابة^(١) والحسنة مقابل السيئة ، فالموعظة قد تكون
حسنة وقد تكون سيئة وذلك بحسب ما يعظه به الإنسان وبأمر به ،
وبحسب أسلوب الوعظ . ومن هنا جاء الأمر بها مقيداً في القرآن الكريم
في قوله تعالى : (أذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فإذا
أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها انصرفت إلى الحسنة قال تعالى :
(نعوذون وأهجر وهن في المضاجع وأضر بهن)^(٢) ولا تكون الموعظة
حسنة إلا إذا تحققت فيها الشروط الآتية :

١ - أن تكون صادرة عن إخلاص .

٢ - أن يصحبها إقناع المدعو بأن الباعث على تقديمها روح الإخاء

وحب الخير له قبل كل شيء .

٣ - أن تكون مطابقة لحال المدعو بحيث تكون علاجاً للمرض

أو وقاية من خطر محقق أو توجيهاً إلى خير يتحل به .

٤ - أن يلتزم بالسرية إذا كانت لفرد . أو التلميح بدلاً من

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة مرجع سابق ص ٢٥٨ ،

٢٥٩ .

(٢) الآية ٣٤ النساء .

للتصريح إذا كانت في جماعة كيلا يثير بعظته من الشر أكثر مما يريد من الخير .

٥ - ضرورة مراعاة الأسلوب المناسب، والوقت المناسب والوسيلة المناسبة لحال المخاطبين ، فقد توجد الموعظة لكن بغير الأسلوب المناسب فلا تكون حسنة ولا تثمر ثمرتها المرجوة منها بل قد تؤدي إلى عكس ذلك ، وقد يجانب الداعي عدم التوفيق في إختيار الوقت المناسب كما يحدث في إعلامنا المعاصر عند توجيه الموعظة في وقت النوم أو تحصيل الطعام أو غير ذلك مما يستولى على لب الإنسان وفكره .

٦ - أن تكون القدوة في الداعية أحد عناصرها فإن العظة بالقدوة من أنجح أساليب الوعظ - ورب حال أبلغ من مقال (١) .

٧ - أن تؤدي بأسلوب في جذاب مليء بالمضمون والمنهج الإسلامي بطريقة راقية وأسلوب فصيح . وعبارات تنسم بالبساطة مع الوضوح وحسن البيان بعيدة عن الإغراق في سفاسف الأمور .

٨ - أن يبتعد أسلوبها عن استعمال اللهجة الجافة ، والنبرة العالية الغليظة والأسلوب الخطابي الجاف فليس شرطاً في الدعوة أن تكون جافة مليئة بالوعيد والتهديد ، والتبكي على الماضي المجيد ، والتنديد بالواقع المؤلم فتل هذه الدعوة التي تحمل هذا المضمون دعوة سلبية هدامة لكن يجب أن تكون الموعظة حسنة (تدخل إلى القلوب برفق ، وتعمق المشاعر بلطف ... فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدى القلوب الشاردة ويؤلف النفوس النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ (٢) .

(١) انظر ؛ أبو بكر ذكرى : الدعوة إلى الإسلام ص ١٤١ ، ١٥٢

(٢) الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٠٢ (٢)

٩ - أن يضع الدعاة نصب أعينهم ما روت به السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت (ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام مفصل بين ، يحفظه من جلس إليه ، وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ، ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم) (١) ولعلمهم أيضاً يمتدون بطريقته في الكتابة فعندما كتب رسالته إلى الملوك والقادة سطر لكل منهم بطريقة مختلفة ... أما كتبه للمقابل العربي فيتضع منها جزالة الأسلوب وقوة الألفاظ ، لأنه كان يخاطبهم بقاموس لغوي يتناسب مع لغتهم وتعابيرهم (٢) .

١٠ - الابتعاد عن الانفعال والحماس الذي يدفع الخصم إلى التصرف غير اللائق مما يقتضى الحذر والدقة وكلما كان الاتصال بالمخاطبين في جماعات صغيرة أو فرادى أدى إلى إتاحة التفكير والتأمل وساعد على تحقيق الغاية من الموعظة الحسنة قال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ... إلى قوله تعالى ... وما يبدى الباطل وما يعيد) (٣) وتجنب الداعية لما يجب تجنبه وتسمكه بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم تجدى موعظته ، وتثمر كلمته ، ويملك زمام الأمور . ورسول الله عليهم الصلاة والسلام جميعاً للوصول إلى هذه الغاية سلكوا المنهج الآقوم وفقاً للظروف والأحوال والملاسات فبدأوا الدعوة إلى دين الله سرأ ثم كانت مرحلة الإعلان والجهربها كما قال تعالى على

(١) انظر : ابن القيم : زاد المعاد ج ١ ص ٤٦ ط المطبعة المصرية بدون .

(٢) انظر : ابن القيم : نفس المرجع ج ٣ ص ٦٠ - ٦٣ ط المطبعة المصرية بدون .

(٣) الآيات : ٤٦ - ٤٩ سورة تبا .

لسان نوح عليه السلام (ثم إنى دعوتهم جهاراً ، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً)^(١)

من مظاهر الموعدة الحسنة في الدعوة إلى الله

لقد عرض لنا القرآن الكريم أمثلة عديدة من الدعوة إلى الله بالموعدة الحسنة في صورة مشوقة يأخذ منها الدعاة ما يفيدهم ، وإن كان هناك اختلاف في الهيئات وتباين في العوامل إلا أنها على كل حال تعطى التصور العام الذي ينبغي أن يمسكه الدعاة ويضعوا على أساسه خططهم ومناهجهم وفي دعوة شعيب عليه السلام مع قومه نموذج للموعدة الحسنة حيث استثار فيهم عوامل الخير فقال لهم : (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين)^(٢) وقال لهم (إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط)^(٣) فرغبهم عليه السلام في الخير والإيمان بأسلوب لين مبيتاً لهم جزاء ذلك عند ربهم كما حذرهم من عذاب الله الذي يستحوذ عليهم يوم القيامة جزاء بغيتهم وإعراضهم عن الله . وهذا دليل هلى حسن تصرف الداعى ليكون أسلوبه مناسباً للمخاطب ومؤثراً في نفسه وعاطفته .

وكذلك موسى وهارون عليهما السلام بأمرهما الله عز وجل بالذهاب إلى فرعون لدعوته ويقول لهما : (فقولاً له قولا لينا لعله يتذكر أو

(١) الآيات ٨ - ١٠ من سورة نوح .

(٢) من الآية رقم ٨٦ هود .

(٣) من الآية ٨٤ هود .

بختى)^(١) ولكن فرعون يواجه هذا الطالب العادل بالكبر والمنهجية ريمح على موسى بما كان من تربيته أيام طفولته ، ويقابل موسى موقف فرعون بالنبل والشجاعة والحكمة والإتزان ، وذكره في رفق ولين مبيتاً له أن تربيته في بيته لم تكن إلا نتيجة حتمية لاستعباده لبني إسرائيل ولو لم يفعل ذلك ما دخل موسى بيته ولا تربى في حجره قال تعالى (ونلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل)^(٢) وفي إجابة موسى عليه السلام اتصاف للحق ورد على الباطل ولكن لم يخرج عن حد اللباقة والذوق وبالرغم من تواعد فرعون لموسى عليه السلام بالسجن والعقوبة حين بين له أن الإله الحق هو رب العالمين ووجد فرعون نفسه مجردة بما كان ينسب لها من صفات الألوهية وبظل موسى عليه السلام هادئاً رزيناً لا تخرجه حماقة فرعون عن حله ولا تورطه سفاهته وتوقعه فيما إنزاق إليه فرعون من الإتهام الباطل والسب والشتم والتهديد الأجوف .

وهذه هي الموعدة الحسنة المنبثقة عن الحكمة البالغة وفي قصة موسى مع فرعون أرضية خصبة ومجال فسيح للعة والإعتبار لمن أراد المريدا وليس هذا محله .

ومن مظاهر الموعدة أيضاً موقفه عليه الصلاة والسلام من الأعرابي الذى بال في المسجد مما يبين مدى ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام من رافة ورحمة وقسامح فهو كما قال عنه ربه (بالمؤمنين رهوف رحيم)^(٣) فليس بفظ ولا غليظ القلب كما قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت

(١) الآية /٤٤/ طه .

(٢) الآية /٢٢/ الشعراء .

(٣) من الآية /١٢٨/ التوبة .

لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (١) بل إنه المثل
الكامل للأخلاق الإنسانية ولذا استحق المدح والثناء من الله تعالى (وإنك
لعملى خلق عظيم) (٢).

فمن أنس رضى الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ
ل إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه ،
قال : **رسول الله ﷺ** : لا تزرموه ، دعوه فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله
ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول
ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن ، أو كما
قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلا من القوم بخاء بدلو من ماء فشبهه
عليه (٣) وكذلك موقفه عليه الصلاة والسلام يوم حنين حين قسم الغنائم
فوجد الأنصار في أنفسهم شيئا فقام فيهم خطيبا ، وذكرهم بنعمة الله
عليهم ووعظهم موعظة حسنة ... (٤) أثرت في قلوبهم ، وهدأت من
نفوسهم ، وغيرتهم من حالة الرفض والاعتراض إلى حالة الرضا والقبول
وهذا من آثار الكلمة الرقيقة الهادفة التي تلمس القلوب فترق بها ، وتخالط
النفوس فتتمش لها وتفرح بها وتحمل للناس البشرية وتأخذ بأيديهم إلى
طريق الحق والصواب ، وعندما يلقها الداعي بنية خالصة لا يقصد بها
إلا رضوان الله فإنها تكون كالبلسم الشافي الذي يداوى الجروح
ويخفف الآلام ، فحين فصل إلى مسامع الناس فإنهم يجدون فيها الخير

(١) الآية ١٥٩/ آل عمران .

(٢) الآية ٤/ ن .

(٣) أنظر ابن حجر : فتح الباري ج ١ ص ٢٢٤ ، ج ١٠ ص ٥٢٥ ، صحيح

مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٩٦ . متفق عليه . (٤) (١)

(٤) أنظر ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ١١٢ ، ج ٨ ص ٤٧ ، ج ١٢

ص ٥٥ ، ٢٢٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ١٦٣ متفق عليه . (٦)

والسعادة ويحسون من خلالها أن الداعية صادق في دعوته ، وحرص على
جلب الخير لهم ، ودفع الضر عنهم فتمتحق الثمرة المرجوة والأمل المنشود
كما قال تعالى : (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) (١) .

أثر الموعظة في النفوس .

إن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بهائما وتقضي على
جمالها وقد تودي بحياتها إذالم تسعف بالعلاج ، والقلوب كالأجسام
نصح وتسقم وقد يطفىء السقم نورها ، ويغفل وجودها فيتردى صاحبها
في مهاوى الهلكة ويرد موارد الردى ومن ثم لا يقبل على خير
ولا يستجيب لنصح ولا ينتفع بتوجيه ديني ولا دنيوي بما ران على قلبه
من ظلمة وخيم عليه من حجب وأستار قال تعالى : (كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون) (٢) .

وإذا كان للأجسام علاج من علتها ودواء يشفي سقمها ومرضاها ،
فإن القلوب تصح وتسلم وترجع إلى رشادها بالوعظ ، وبمقدار إنتشار
الوعاظ وإخلاصهم ، وقوة تأثيرهم في محيطهم تحيا الأمم وتعلو مكانتها في
الدنيا ، وهذا يتبين أن الداعية كالطبيب يستدل أولا بالنبض على طبيعة
العلة ، ثم يقدم لها العلاج الناجح والدواء النافع وهذا رسول الله ﷺ
يقدم لنا أمثلة حية على ذلك فقد قال له رجل يا رسول الله : أوصني .
قال له الرسول ﷺ : (لا تغضب) فكررنا ثلاثا والرسول يقول :

(١) الآية ٢٤/ ٢٥/ إبراهيم .

(٢) الآية ١٤/ المطففين .

(لا تغضب) (١) وفي حديث آخر عن عثمان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال : (قل آمنت بالله ثم استقم) (٢) إلى غير ذلك من الأمثلة والنماذج التي لا تحف عند حصر .

وبالموعظة تصح القلوب وتزكو النفوس وتشرق بالهدى والنور وتضيء أمام الإنسان سبل الرشاد ويتجمل في حب وشوق بمسكram الأخلاق ومحامد الفضائل والحاصل .

الثالث : المجادلة التي هي أحسن

التعريف بها : أولاً : في اللغة :

يقال جادله مجادلة وجدالا . ناقشه ومخاصمه ، والجدل . اللدني الخصومة والقصدرة عليها وهو شدة الخصومة وفي الحديث الشريف : (ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا) (٣) . والجدل مقابلة الحججة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة (٤) وفي المفردات أن الأصل في معنى الجدال هو

(١) رواه البخاري كتاب الأدب ج ١ ص ٣٥٥ الإمام أحمد : المسند ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب جامع أوصاف الإسلام ج ١ ص ٦٥ .

(٣) رواه ابن ماجه ج ١ ص ١٥٥ من المقدمة بلفظ (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) والترمذي ج ٩ ص ٦ / التفسير . وقال حسن صحيح . والإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

(٤) أنظر : لسان العرب . مادة جدل ج ١١ ص ١٠٥ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ١١١ .

المصارعة وأن الجدالة هي الأرض الصلبة فهو إسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة ، فكذلك الخصمان يروم كل منهما غلبة صاحبه بإسقاط كلامه بتقوية كلام نفسه عليه (١) .

ومن معاني الجدال : الفتل تقول حبل مفتول أى مجدول وعليه يقال في الجدال بالقول أن كل واحد من الخصمين يفتل صاحبه عما يعتقد به إلى ما هو صائر إليه ومن معانيه : الإحكام والتقوية وعليه فكأن كل واحد منهما سمي مجادلاً لأنه كشف لصاحبه صحة كلامه بإحكامه ويسقط كلام صاحبه (٢) .

والجدال من جادل ، على وزن فاعل ، وهذا الوزن يقتضى المشاركة بين طرفين فهناك دائماً طرفان مجادل بكسر الهمزة ومجادل بفتحها ويصدق على كل طرف أنه من جهة مجادل بالكسر ومن جهة مجادل بالفتح .

ثانياً : أما في الاصطلاح : فعرّفه العلماء تعريفات متشابهة منها قولهم :

(عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة) (٣) ومنها (مراد يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها) (٤) ومنها (مقابلة الأدلة لظهور أرجحها) (٥) هذا بالإضافة إلى أن كل طائفة من العلماء تنسب إلى

- (١) انظر : الراغب : المفردات مادة جدل .
- (٢) انظر : الجويني (إمام الحرمين) الكافية ص ٤١ تحقيق د / فوقية حسين محمود ط الحلبي .
- (٣) انظر : أبا البقاء : الكليات : ص ١٤٥
- (٤) انظر : الجرجاني : التعريفات : ص ٦٦
- (٥) انظر : المصباح المنير : ص ١٢٨

علم أو فن عرفوا الجدل تعرفوا خاصاً بهم فثلا علماء الشريعة يقولون :
 (طريقة وضعت لإظهار الحق وضبط مناطه) أى ضبط ما يتعلق به الحكم
 الشرعى ويعمل به أو هو (إظهار المتنازعين مقتضى نظرتها على التذافع
 والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة) (١) ويعرفه المفسرون
 بقولهم (أدلة كلامية يوردها الداعى ليلزم الخصم ويفحمه ويحصله يؤمن
 بالمدعى) (٢) تلك هى خلاصة أقوال علماء اللغة والشريعة والتفسير وهى
 كلها تمثل أشكالا لشىء واحد ، والمفهوم عندنا من الجدل أنه الحوار -
 والمناظرة وهذا بعد التنبيه على ضرورة الإحتفاظ بالمفاهيم الأصولية
 للفتن العربية وقد يكون هادئاً أو غير هادئ فيشمل الصراع الكلامى
 فى المواجهة بين شخصين أو بين شخص وآخرين أو بين كاتب وآخر
 فى محاورات شفوية أو كتابية فى السكتب أو أدوات أو أدوات النشر
 والإعلان والإعلام... الخ بالتى هى أحسن . وقد فسر ابن كثير المجادلة
 بالتى هى أحسن بقوله: أى من احتاج إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه
 الحسن ويرفق ولين وحسن خطاب (٣).

ذلك لأن المجادلة قد تكون بالحسنى وقد تكون بالباطل قال تعالى :
 (وجادلهم بالتى هى أحسن) (٤) وقال : (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
 الحق) (٥) ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى مدوح ومذموم وذلك بحسب
 الغاية منه .

- (١) أنظر إمام الحرمين (الجوينى) ص ٥٣٠ مرجع سابق .
 (٢) الألوسى : روح المعانى : ج ١ ص ٢٥٤
 (٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٩١
 (٤) من الآية ١٢٥ النحل .
 (٥) الآية ٥٦ غافر .

وبحسب طبيعة الأسلوب وطريقة المجادلة ، وما يؤدى إليه من
 نتائج .

فالجدل المدوح : هو الذى يهدف إلى إحقاق الحق ونصرتة أو غير
 من المقاصد الحسنة ويكون بأسلوب صحيح مناسب ، يؤدى إلى خير ،
 ولتلك أقره الله تعالى وأمر به فى قوله تعالى : (أذع إلى سبيل ربك
 بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وقوله تعالى :
 (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) (١) وقد قام النبي ﷺ
 بهذا الأمر خير قيام فجادل اليهود والنصارى ومشركى العرب بمجادلة أقامت
 عليهم الحججة على صحة هذا الدين وصدق هذا النبي ﷺ ولم ينسكروا أحد من
 الصحابة والتابعين الجدل فى طلب الحق .

والجدل المذموم : هو الذى لا يهدف إلى إحقاق الحق ونصرتة ولم
 يسلم أسلوبه كأن كان منفراً قاسياً تستعمل فيه الألفاظ الجارحة والتناهد
 بالألقاب أو كان لا يؤدى إلى خير لأنه . لما :

١ - جدل بغير علم كما قال تعالى : (إن الذين يجادلون فى آيات الله
 بغير سلطان أتاهم إن صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله لأنه هو
 السميع البصير) (٢) .

٢ - جدال لنصرة الباطل ورد الحق : قال تعالى (وجادلوا بالباطل
 ليدحضوا به الحق) (٣) .

ولذا أنكر العلماء الجدل المذموم وقالوا حيث وجد الجدل بالحق كان

- (١) الآية ٤٦ العنكبوت .
 (٢) الآية ٥٦ غافر .
 (٣) الآية ٥٦ غافر .

مباحاً أو واجباً وحيث وجد الجدال بالباطل كان محرماً وهذا يكون حسب المقامات التي تقتضيها بواعث الجدال (١).

أنواع الجدال في القرآن الكريم:

للجدال أنواع تابعة لغرض المتخاصمين أو أحدهما منها ما يأتي:

١ - جدل إسترشاد كجدل الملائكة مع الله في قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة الخ الآية) (٢) فجدل الملائكة من قبل الإسترشاد ومعرفة الحكمة فيهما لم تظهر لهم الحكمة فيه وليس هذا من قبل اعتراضهم على حكم الله وتديبره.

٢ - جدل لطلب الحق والوصول إليه كجدل خولة بنت ثعلبة الحزرجية مع النبي ﷺ بعد أن قال لها زوجها أنت على كظهر أمي فذهبت إلى رسول الله ﷺ فسفتته وتراجعه في الفتوى له له يهود لها مخرجاً... الخ فأنزل الله تعالى قوله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها... الخ: الآيات) (٣).

٣ - جدل للدعوة إلى الحق وطلب سلوكه والتمسك به وذلك مثل جدل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم أو جدل لإنسان مع آخر يدعوه إلى الحق قال تعالى عن نوح عليه السلام (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما وعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين) (٤).

- (١) أنظر الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ج ١ - ٢٢٣ - ٢٢٥
- (٢) الآية ٣٠ البقرة
- (٣) الآية رقم ١ المجادلة
- (٤) الآيتان ٢٢، ٢٣ هود.

٤ - جدل شفقة ورحمة من إنسان عن آخرين لخوفه أن يصيبهم سوء مثل مجاداة إبراهيم عليه السلام عن قوم لوط قال تعالى: (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط... الخ الآيات) (١).

٥ - جدل عناد ومكابرة وإنكار الحقيقة. مثل جدل إبليس مع الله تعالى لما أمر بالسجود لآدم قال تعالى: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا لإبليس لم يكن من الساجدين الخ الآيات) (٢) فاعترض الملعون على أمر الله وامتنع عن تنفيذه غياب وخسر وهذا جزاء كل من جادل عناداً ومكابرة فكان من أهنض الخلائق إلى الله.

من خصائص أسلوب الجدال (٢)

لاسلوب الجدال خصائص وموايا عديدة منها:

١ - اعتماده على العلم والمعرفة فلا يصح الجدال من غير علم ومعرفة وقد أنكر القرآن الكريم على من يجادلون بغير علم فقال: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزات التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاجتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم... (٤)).

٢ - إقامة الحججة على الخصم وإخامه، فالأصل في أسلوب الجدال أن

- (١) الآيات ٧٤ - ٧٦ هود.
- (٢) الآية ١١ وما بعدها / الأعراف، ٨٨.
- (٣) أنظر: المدخل إلى علم الدعوة مرجع سابق ص ٢٦٧ وما بعدها.
- (٤) الآيات ٦٥، ٦٦ آل عمران.

يقيم الحجة واضحة ولا يترك للمجادل حجة يتمسك بها أو شبهة يستدل بها على باطله قال تعالى (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ... إلخ الآيات) (١) ،

وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية رحمه الله (فسلك من لم يناظر أهل الإلحاد والبسوع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفي بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاه الصدور وطمانينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين) (٢) .

٣ - تنوع بواعثه ودوافعه تنوعاً كثيراً فمنها :

(١) بواعث نفسية كالقناعة الشديدة بفكرة ما أو التعجب والإستغراب من أمر ما كما حدث حين تعجب المشركون من الدعوة إلى التوحيد حيث قالوا (أجعل الآلهة لها واحداً إن هذا لشيء عجيب) (٣) إلى غير ذلك من بواعث نفسية كالاستهزاء والسخرية بالحق وأهله كما قال تعالى : (قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون وإن سألتم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) (٤) أو الخوف من الشيء وكرهته كما حدث لبعض المؤمنين يوم بدر قال تعالى : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) (٥)

(١) الآية ٢٨٥ البقرة .

(٢) الإمام ابن تيمية : دره تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٣٥٧ نقلاً

عن المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٦٨ (١) (٢) (٣) الآية ٥ ص ٦٠ (٤) الآيتان ٦٤ ، ٦٥ التوبة . (٥)

(٥) الآيتان ٦٠ ، ٥٥ الأنفال .

أو الرغبة في تشويه الحقائق قال تعالى : (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (١) ، وقال : (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) (٢) ، وما إلى ذلك .

(ب) بواعث علمية كالاستفادة بالسؤال عما يجمل ومناقشة الأدلة والترجيح بينها أو دفع الشبهات المثارة حول موضوع ما من الموضوعات .

(ج) بواعث اجتماعية كالتعصب والتعصب لقول أو رأى أو مذهب

أو لتمسك بما كان عليه الآباء والأجداد وما إلى ذلك ، وهذا التنوع في البواعث يجعل مهمة الداعية التعرف عليها ليهم كيف يتعامل مع أصحابها . وهذا هو منهج الرسول ﷺ في مناقشة الخصوم والحوار مع الأعداء والقرآن الكريم يبين أسلوبه الذي أجراه على لسان نبيه الذي خاطب به منكري رسالته قال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض قل الله وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) (٣) ، وفيه توضيح لأسلوب الرسول ﷺ في جدالهم فلم يبدأ بمهاجمة معتقداتهم أو توجيه النقد والعنف إليها بل حاول استمالتهم إلى الحق بهدوء وأتزان دون أن يظهر أو لا أي الفرقين على الهدى وأيهما على ضلال . وبطريقة هي غاية ما يكون الأدب الجم في الجدل يحاول أن يجذبهم إلى صفة وأن يستمعوا إليه .

فيقول : إن أحدنا لا بد أن يكون على هدى والآخر على ضلال ، وإنه لن يحكم لنفسه بالهدى ولن يحكم عليهم بالضلال وإنما يدع تحديد المهتدى منهما ليثير التدبر والتفكير في هدوء وروية لا تغشى عليها العزة بالإثم .

(١) الآية / ٥ / غافر .

(٢) الآية / ٥٦ / الكهف .

(٣) الآية / ٢٤ / سبأ .

وفي السيرة النبوية نماذج مختلفة وأمثلة متباينة للأسلوب الذي كان يبلغ به رسول الله ﷺ غايته بحكمته ولباقته وكيف أن الكثير من مجادلته كان يعتنق الإسلام على أثر مجادلته لهم .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير ما كان من أمر مجادلته لعدي بن جاثم الطائي وكان قد تنصر في الجاهلية وفر إلى الشام ثم قدم على رسول الله ﷺ وبعد مجادلة طويلة بينهما وبين رسول الله ﷺ أقام الرسول عليه الصلاة والسلام في إيطار من الرفق والرحمة وإظهار حب الخير له حتى هداه الله إلى الإسلام فأسلم وحسن إسلامه^(١) .

ومثل هذا الأسلوب المهذب جدير بأن يزيل من جو المناقشة العناد والإستكبار ويثير التدبر الواعي والإفتتاح العميق ، وهذه هي الطريقة العلمية التي تعتبر من أسس ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر والضمير وهي طريقة الإسلام في الجدل والحوار .

ومن هنا كان الداعية محتاج إلى السلاح الفكري والموضوعية في مجادلته بالتي هي أحسن وليس من المصلحة في شيء مواجهة التجدي بالعواطف الخاوية والخطب الزنانة البعيدة عن المضمون الفكري العميق بل عليه أن يقرع الحججة ويقابل الفكرة بالفكرة كما كان يفعل الرسول ﷺ ، لأن الدعوة لا تسوخ للداعي أن يفقد خلقه مع من لا خلق له ولو شغل بتأديب كل جهول يلقاه لأعيته الخليل من كثرة ما سوف يلقى^(٢) ، وبهذا المنهج يجعل الداعي من نفسه قدوة حسنة ومثالا يحتذى .

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٤ ص ٥٨٠ ، ٥٨١
(٢) انظر : الأستاذ محمد الغزالي : خلق المسلم ص ٩٦

الرابع : القدوة الحسنة

التعريف بها : في اللغة : القدوة والقدوة بضم القاف وكسرها : الأسوة يقال فلان قدوة يقمى به والقدوة لإصطلاحاً : المثال الذي يتشبه به غيره فيعمل مثل ما يعمل^(١) .

وقيدت القدوة هنا (بالحسنة) لنخرج القدوة السيئة فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة وقد جاء في الحديث الشريف قول الرسول ﷺ : (من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)^(٢) .

ذلك لأن القدوة الحسنة مبنية على غريزة من غرائز الإنسان هي غريزة التقليد أو المحاكاة وهذه الغريزة الإنسانية تأسير فعال في ميدان التربية والتعليم ولذلك يعتمد عليها المرهون والمعلمون في جميع مراحل التعليم حيث يسوقون إلى التلاميذ والشباب أمثلة كثيرة للبطولة والكفاح في كل مجالات العلم والعمل ، والكشف والأدب فضلاً عن مجال الحرب والجهاد^(٣) وهي من أخص صفات الداعية حتى يتمكن من التأثير في الناس

(١) انظر : لسان العرب مادة (قدوة) ج ١٥ ص ١٧١ ، والمعجم

الوسيط ج ٢ ص ٧٢٧

(٢) رواه مسلم في صحيحه ج ٥ ص ٥٣١ رقم ١٠١٧ كتاب العلم .

(٣) انظر : د / عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ص

فهم لا يتأثرون بلسان المقال بقدر ما يتأثرون بلسان الحال ومن هنا كان على الداعية أن يبدأ بنفسه أولاً فيكون مطبقاً للفضيلة التي يدعو إليها مجتنباً للرذيلة التي ينهى عنها لأن الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق وأخلاقه سيئة إن تكون دعوته مستجابة وإن يلقى من مستمعيه غير الصد والإعراض وكذا كل من يدعو إلى فضيلة ويعمل بنقيضها أو إلى التماس الحلال الطيب وهو غارق في المحرمات والخبائث فإنه إذا استطاع أن يمدح الناس حيناً فلن يتمكن من خداعهم في كل حين^(١) ، ... والناس ينظرون دائماً إلى الدعاة كمنادج حية لما يدعون إليه ويتأثرون بسلوكهم العمل أعظم مما يتأثرون بالكلمات المؤثرة والخطب الرنانة ، وإننا لو رأينا عالماً قذا وخطيباً مفوها ومحدثاً لبقا يحاضر الناس عن أضرار التدخين مثلاً وقد دعم محاضراته بكل الأماليب العلمية التي تؤكد ضرره وتظهر آثاره السيئة وأحضر النماذج الملموسة التي تؤكد ذلك وتوضحه ويدل على صدق ما يقول واجتمع الناس عليه يسمعون في دهشة لما دعم به محاضراته من أدلة مادية وقد ملكت عليهم المحاضرة قلوبهم واستولى بحديثه على نفوسهم ، وبينما الناس مشدودون إليه لقوة حديثه وتأثير بيانه أخرج من جيبه سيجارة وأشعلها على مرأى من الحاضرين فماذا تكون النتيجة ؟

أصدق الناس ما يسمعون ويكذبون ما يشاهدون ؟ كلا إن هذه السيجارة أفسدت كل مادجه وأفقدت القيمة الحقيقية لكل ما ذكره ، ولا شك أن حديثه مع حلاته وإنجذاب الناس إليه لا يمكن أن يتجاوز المقاعد التي يشغلها ويستظل صورته وهو ممسك بسيجارته لا تفارق أذنانهم

(١) راجع فتحى يسكن : الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص

لأنه بذلك قد كذب نفسه . إن القدوة العملية تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت جيدة ومؤثرة^(١) ، ولذلك جاء الوعيد الشديد من الله تعالى على عدم مطابقة العمل للقول فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)^(٢) .

أنواعها :

يمكن تقسيم القدوة الحسنة في الإسلام إلى نوعين :

(أ) قدوة حسنة مطلقة أى معصومة عن الخطأ والزلل كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...)^(٣) وقال : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ... إلى أن قال لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)^(٤) ، وقال : (أولئك الذين هدى الله فبهم أحسن)^(٥)

(ب) وقدوة حسنة مقيدة : أى بما شرعه الله عز وجل لأنها غير معصومة كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يقتدى بهم في أمور دون أخرى وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري ، أو خطأ اجتهدى لذا كان الاقتداء بهم مقيداً بموافقة شرع الله ... وبهذا

(١) انظر : محمد السيد الوكيل : أسس الدعوة وآداب الدعاة ص

(٢) الآية / ٢ ، ٣ الصف

(٣) الآية / ٢١ / الأحواب .

(٤) الآيات من ٤ - ٩ / الممتحنة .

(٥) الآية / ٩٠ / الأنعام

يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوباً عاماً يشمل التأمي بكل من عمل عملاً صالحاً حسناً سواء كان نبياً رسولاً أو كان تابعاً للرسل الكرام ناهجاً منهم في عمله (١).

فسلوك الداعية هو الصورة الحية العملية لدعوته يراها الناس في سكوته وحركته ووقوفه ومشيته ، وبكائه وضحكته .. إلخ . ومن ثم وجب على كل زعيم أو حاكم أو قائد أن يكون قدوة طيبة لغيره متى أراد لنفسه النجاح في الفكرة أو العمل الذي جاء يدعو الناس له .

من خصائص أسلوب القدوة الحسنة (١)

لأسلوب القدوة خصائص ومزايا عديدة منها :

١ - سهولته وسرعة إنتقال الخير من المقتدى به إلى المقتدى لأن الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه ، فجرد العمل بالخير وتطبيقه ، تحصل قناعة الآخرين بصلاحيته هذا الخير والفعل للتطبيق وأنه ليس أمراً مثالياً مجرداً... وهذا واقع مشاهد في حياة الناس .

٢ - سلامة الأخذ وضمان الصحة ولاسيما في الأمور الدقيقة العملية ومن هنا أكد عليه الصلاة والسلام في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج فقال في الصلاة : (صلوا كما رأيتموني أصلي) وقال في الحج : (خذوا عني مناسككم) (٢) بل إن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ صبيحة ليلة الإسراء ليعلمه كيفية الصلاة عملياً ، فاقته به ﷺ ، وافتدى الصحابة الكرام برسول الله ﷺ (٣).

٣ - عمق التأثير في النفس البشرية ، وسرعة استجابتها للأدوار

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة مرجع سابق ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٢) انظر : ابن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٢ ص

١١١ ، ١٠٣ ص ٤٢٨ .

(٣) رواه مسلم بلفظ (لتأخذوا عني مناسككم) كتاب الحج ج ٣ ص

٤٣١ ، أبو داود ج ٢ ص ٤١٦ . كتاب المناسك .

(٤) انظر فتح الباري : ج ٢ ص ٤ ، مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ١٠٧

ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١١٢ .

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٧١ ، ٢٧٢ مرجع سابق .

العملية أكثر من استجابتها للامور النظرية ومن هنا أشارت أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ بالمبادرة إلى الخلق والتحمل ليقمدي به الناس عمليا وكان كما قالت رضي الله عنها (١) ، ودعا رسول الله ﷺ بإناء من لبن أو ماء فشرب أمام الناس وأفطر ، فقال المفطرون لما رأوه للصوم: أفطروا (٢) .

وكان أحد الصحابة رضوان الله عليه يصلي بالناس وهو لا يريد إلا أن يعلمهم صلاة النبي ﷺ وسنته (٣) . ذلك لأن الأفراد دائما ينظرون ويتطلعون إلى قادتهم كأمثلة حية يقتدون بها ويحذون حذوها فسلوك القائد ونشاطه وحيويته وأخلاقه وأعماله ذات أثر فعلي على الجماعة بأكملها فالرسول ﷺ كان نعم القدوة لصحابته الذين كانوا بدورهم أئمة صالحين وهداة مهتدين .

والبشرية عادة تستجيب لمنهج مجسم متحرك يمثل في حياة أو جماعة من البشر مترجم إلى واقع ملموس تراه العين وتلاحظ آثاره العقول في الوقت الذي لا تستجيب فيه لمنهج مقروء أو مسموع (٤) .

وهذا مثل من القدوة العملية في الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث لها أثرها وفائدتها رغم أن القائمين بها لم يكونوا متخصصين في مجال الدعوة وإنما لأنهم حريصون عليها فحسد كان سلوكهم نفسه دعوة والدعوة غير المباشرة أكثر فائدة من الدعوة المباشرة (وقد حدث ذلك

- (١) انظر فتح الباري : ج ٥ ص ٣٣٢ ، ص ٣٤٧ ، ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٩٥ .
- (٢) انظر فتح الباري : ج ٨ ص ٣-٥ .
- (٣) انظر نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٣ .
- (٤) الشهيد : سيد قطب : الإسلام ومشكلات الحضارة ص ١٨٠ .

في الجزائر حيث كان السكونت هنري دي كاستري من كبار الموظفين رغم سنه المبكرة وكان يسير بمتطيا صهوة جواده ويسير خلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء غفورا بمركزه وكان يماؤه الغرور للممدح الذي يزجيه إليه هؤلاء الذين كانوا تحت إمرته ونجاة وخدمهم يقولون له في شيء من الخشونة وفي كثير من الاعتداد بالنفس ، لقد حان وقت صلاة العصر ، ودون أن يستأذنه في الوقوف ترحلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة ودوت في أرجاء الصحراء كلية الإسلام الخالدة (الله أكبر) وشعر السكونت في هذه اللحظة بشيء من المهابة في نفسه ، وبكثير من الإعجاب والإعجاب هؤلاء الذين لا يباليون به ذلك لأنهم اتجهوا إلى الله وحده بكل كيانهم وبدأ يتساءل ما الإسلام ؟ أهو ذلك الدين الذي تصوره الكنيسة في صورة بشعة تنفر منها النفس ولا يطمئن إليها الوجدان وبدأ يدرس الإسلام وتغيرت فكرته عنه ورأى من واجبه أن يعلن هذا بعد أن اعتنق الإسلام فألف كتابه الإسلام سوانح وخواطر (وذكر فيه ما كان من أمر الكنيسة من تشويهها للإسلام وأنه من وضع محمد وأنه يدعى الألوهية وأنه يدعو الناس إلى عبادته (١) .

وهذا يبين ما قام به هؤلاء الجنود من دعوتهم إلى الإسلام بلسان حالهم رغم أنهم لم يتكلموا مع السكونت دي كاستري كلمة واحدة عن الإسلام ولا عن عقيدته إلا أن سلوكهم العملي كان مدعاة لإثارة انتباهه ودعوة لإعمال فكره ، رغم أن الكنيسة كانت قد قامت بحملة دعائية مضادة للإسلام . لكن انتظر الفارق بين العمل وبين الكلام فما فعله الجنود الجزائريون كان أبلغ تأثيرا مما قالته الكنيسة رغم أنهم تحت إمرته وقيادته والكنيسة تعتبر نفسها فوق المسيحيين جميعا ، ورغم العلاقة

(١) د / عبد الحلیم محمود : أوربا والإسلام ص ٥٣ ، ٥٤ .

المقدسة التي تربطه بالسكنيسة ، واسكن كان سلوك هؤلاء الجنود أكثر تأثيراً وأدى إلى الاستجابة المطلوبة .

لذلك نرى القرآن الكريم يجارب الكلام الأجوف الذي لا يتأثر به صاحبه ولا يتبعه بالعمل قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (١)) وقال تعالى (أنأمرون الناس بالبر ونفسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٢)) وهذا وعيد شديد من الله تبارك وتعالى لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو في نفسه مقصر كمن يكذب في قوله أو يخلف وعده .

روى عن أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يوتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه (٣) ، فتدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية (٤) وفيه تغليظ العقاب لمن يخالف فعله قوله .

فليحرص الداعية أن يكون قدوة للناس بفعله لإقتداء برسول الله

(١) الآية / ٢ ، ٣ / الصف .

(٢) الآية / ٤٤ / البقرة .

(٣) أى تخرج أمعاء بطنه .

(٤) انظر : ابن حجر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ج ١٢

ص ٤٤٨ كتاب الفتن .

ﷺ الذي كانت سلوكياته كلها دعوة إلى الإسلام ، وهذا هو السر في اعتناق الناس له منذ البداية لأن المسلمين استحقوا أن يتأمنوا الناس بهم وأن يقلدوهم في أخلاقهم وأقوالهم وأعمالهم .

وهكذا نرى أن القدوة العملية تؤثر في الناس مع الصمت أكثر مما تؤثر الخطب البليغة والعبارات المنمقة . فعلى الدعاة أن يكونوا عمليين أكثر منهم قوالين حتى تنعش دعوتهم وتؤتى أكلها كل حين ، ياذن ربها وعليهم أن يجعلوا من بيوتهم قبلة للقاصدين فيجدون فيها الإسلام حياً يتحرك في زوجاتهم وأبنائهم وآبائهم وأحفادهم وخدمهم... الخ .

وعليهم أن يعلموا أن أى تقصير في تطبيق ما يدعون إليه يجعلهم عرضة للقبيل والقال والسخرية والاحتقار ثم لا يكون لدعوتهم أى أثر في القلوب ، وقد شكنا الناس في التقديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيتون الفعل وتناقض الفعل مع القول هو أخطر ما يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم ، ولا تتحقق القدوة الحسنة في الداعية إلا إذا تحقق فيه ما يأتي .

١ - أن يكون مؤمناً بدعوته واثقاً بها ، مقتنعاً بمضمونها ذلك لأن هذه الأمور عوامل أساسية في العمل على قبولها والتفانى في تبليغها ، أما إذا انعدمت تلك الأشياء من نفس الداعية أصبحت دعوته جسداً لا روح فيه فتفقد شكلها ومضمونها ، وبالتالي يفقد القدرة على هداية الآخرين ودعوتهم إلى اعتناقها .

٢ - أن يتأثر بها ويتفاعل شخصياً معها حتى ينعكس ذلك على عطاءه لأن قائد الشيء لا يعطيه وهذا بدوره يظهر في سلوكياته وتصرفاته ومعاملاته ، فإن بعض الدعاة الذين نصبروا أنفسهم أئمة لم يقدرُوا مسئوليتهم حق قدرها

ولم يصلحوا أنفسهم قبل أن يصلحوا غيرهم فلم يكن ظاهرهم وباطنهم سواء في الصفاء والاستقامة (١).

والوقوف عند حد القول مهما كان بليغا مستقيضا لا يثمر حتى يكون صاحبه الترجمان العملي الخى له ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون من بعدهم يستعينون على حفظ أحاديث رسول الله ﷺ بالعمل بها (٢) فالعلم الناشئ عن العمل في مجال التربية والإصلاح هو خلاصة المران والتجربة وهو الذي يتحول إلى حقائق في المجتمع .

والمعرفة التي نستخدمها هي وحدها التي تعلق بأذهاننا وهي التي نستنير بها في كروب الحياة المنشابه ، والنظريات التي لم ينقلها العمل من دائرة الذهن إلى واقع الحياة تشبه الطعام اللذي لم يحوله الهضم الكامل إلى حركة وحرارة وشعور (٣).

٣ - قدرة الداعي على التأثير فشخصيته وسلوكه لها أعظم الأثر في الاستجابة إلى ما يدعو إليه وهناك كثير من الناس يستوعبون معارف جديدة وتجري الحكمة على ألسنتهم ولكن ليس لهم أي إشعاع أو تأثير لأن معارفهم وحكمهم صور ذهنية مقطوعة عن السلوك وهذا للنوع قهول الجذوى بل إن النبي ﷺ حذر من علم لا يفتح لصاحبه طريق العمل فعن

(١) أنظر : د/عبد الوهاب كحيل : الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي ص ٢٣٠-٢٣٤

(٢) أنظر : د / التهامي نقره : في ضوء القرآن والسنة : مجموعة بحوث ص ٦٦٧

(٣) الأستاذ محمد الغزالي : جدد حياتك ص ٥٤

جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (العلم علمان : علم في القلب فذاك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على بن آدم) (١).

إن الدعوة إلى الله يجب أن يتجرد صاحبها لله وأن تتحول سريعا إلى سلوك وحركة وتقوى وفصيحة حتى تنفذ إلى القلوب ومتى كان الباعث عليها إنسانيا دينيا وليس غرضا دنيويا أو غاية ذاتية أو منفعة شخصية كجاء أو شهرة أو مال كانت كما وصفها القرآن الكريم كالغيث في الأرض الطيبة قال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) (٢).

وبهذا يتأكد لنا أن تحقيق القدوة الحسنة مردون بإيمانه وإشعاعه وتأثره ومرونته وقدرته على التأثير وحكمته في الدعوة .

الخامس : الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم

إن الدعوة إلى الله حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها لا بد أن يتسلح الداعي لها بالبصيرة والعلم . والمقصود بالبصيرة . الحجة الواضحة والبيان الدقيق والبرهان الساطع والفهم العميق للدعوة والمدعوين وهذه البصيرة أسلوب بياني ، وكونها شرط دليلا على أن حرفة الكلام وعلم الأصول حرفة الأنبياء عليهم السلام وأن الله ما بعثهم إلى الخلق إلا لأجلها (٣).

وما كانت حرفة الأنبياء هكذا إلا لأنهم يملكون هذه البصيرة .

(١) رواه الدارمي في سننه : ج ١ ص ١٠٢ باب التوبيخ لمن يطلب

العلم لغير الله من المقدمة .

(٢) الآية / رقم ٢٥ / إبراهيم .

(٣) الرازي : مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٢٥٥

ويدعون وهم فاهمون للدعوة والمدعوين . وهذا يقتضى ضرورة توظيف الوسائل التي تناسب طبيعة العصر والاستفادة من الاكتشافات العلمية الحديثة ووسائل الإعلام السكثيرة والمتطورة فى الدعوة إلى الله فى العصر الحاضر . وفقا لخطة مدروسة وجهاد مستمر وعمل متواصل .

والإسلام ينظر إلى البصيرة والعلم على أنهما من أسس الدعوة إلى الله تبارك وتعالى قال تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن) (١) وقال (ولا تقف ما ليس لك به علم) (٢) وقال : (وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) (٣) وقال (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدنى علما) (٤) .

من أجل هذا كانت البصيرة التى يعتمد عليها الدعاة واجبة لنجاح عملهم والعلم هو الوسيلة المحصلة لتلك البصيرة لأن العلم الذى يبني عليه الإنسان عمله سواء أكان ذلك العمل دعوة يعرضها أو فكرة يطرحها يجعل الإنسان واقفا فيما يعرضه فلا يتردد ولا يتزعزع بل يعرضه فى قوة وإيمان ، حيث يزيده العلم يقينا ويكون عوناً له على إقناع خصمه ، وهذا يحتاج إلى أن تكون الدعوة متمسمة بالوضوح الشامل والبيان الدقيق ولهذا نزل القرآن الكريم متمسما بالوضوح والبيان فكان عرضه

- (١) الآية / رقم ١٠٨ / يوسف
- (٢) الآية / رقم ٣٦ / الإسراء
- (٣) الآية / رقم ١١٣ / النساء
- (٤) الآية / رقم ١١٤ / طه

للدعوة بشير داعية النظر عند المدعوين كما هو شرط لإبلاغها (١) . لأن اليقين الثابت والبرهان القاطع والحجة الساطعة لا تتأتى إلا إذا كانت الغاية واضحة محدودة المعالم ولا يكون ذلك إلا نتيجة للعلم بها والبصيرة فيها وقد أكد القرآن الكريم على تحقيق ذلك .

ولما كانت تلك الدعوة تعرض على كل الناس استوجبت حتما أن يكون القائم بها عالما بتفاصيلها واقفا على دقتها وجليلها جامعا لأدلتها وبراهينها حتى يتمكن له عرض دعوته وإقناع المجادلين وهداية الضالين (٢) ولذا حث القرآن الكريم المسلمين على طلب العلم والترغيب فيه والاستزادة عنه والتبحر فيه ونهاهم صراحة عن تتبع ما ليس لهم به علم ولا معرفة لأن العلم يساعد الإنسان على بلوغ ما يريه وتحقيق رغباته فمثلا إذا تكلم الإنسان فى موضوع لا علم له به تخبط هناك فيصبح محلا للسخرية بحالا للإستهزاء أما إذا تكلم فى أمر أحاط به علما ووقف جسدا على أطرافه ومراميه ازداد فى أعين الناس احتراماً وتقديراً ، فيصل حديثه إلى القلوب ويستولى على المشاعر فيطرب الناس لقوله ويسرعون إلى متابعتة (٣) .

ولذلك كان لا بد للداعى من بذل الجهود المتواصلة فى تحصيل العلم ومواصلة الدراسة حتى يصل إلى قدر معتول من التفقه فى دين الله يمكنه من تشخيص همل الناس ووصف العلاج المناسب من هدى الإسلام فتتبعياً النفوس للشفاء ، وبذلك يكون نصحه طبا للريض ومورا يهدى السبيل

- (١) الإمام أبو حامد الفوالى : فيصل التفرقة ص ٧٥ ط أولى القاهرة طبع ونشر مطبعة الفرقى .
- (٢) أنظر : د/ محمد السيد الوكيل أسس الدعوة وآداب الدعاة ص ٦٢ ، ٦٣
- (٣) د/ عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٣١٥ ، ٣١٦

ولا يمكن أن يقوم الداعية بواجبه إلا إذا استجمع ملكة الفهم والحكم
والقدرة على مواجهة كافة ما يعرض عليه من قضايا ومشكلات بالتسلح
بالعلم الدقيق والفهم العميق والتحصيل الجيد^(١). وما يؤكده ضرورة العلم
في حد ذاته ما روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال (تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية ومذاكرته تسبيح والبعث عنه جهاد
وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرابة لأنه معالم الحلال والحرام
ومنازل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة... يرفع
الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتضى آثارهم، ويقتدى بأفعالهم
ويبتغى إلى رأيهم)^(٢).

يقول الإمام الغزالي إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيقا في نفسه فيكون
مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب
إلى الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به^(٣).

ومعرفة الحلال والحرام والمراض والواجبات والسنن والعقائد
والاحكام تحتاج من الداعية أن يكون من المتفهمين في الدين المعلمين للناس
الخير ولا يتحقق ذلك إلا بالتعلم والتفقه قال ﷺ (إنما العلم بالتعلم والفقہ
بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)^(٤).

كما يتطلب ارتباطا قويا بالقرآن الكريم حفظا وفهما ودراسة وكذا
سير الرسول ﷺ بوصفها التطبيق العملي لروح القرآن ثم سير الصحابة

- (١) أنظر: الشيخ محمد الغزالي: مع الله ص ١٩٥ وما بعدها.
- (٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٦٥
- (٣) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٢
- (٤) رواه البخاري ج ١ ص ٢٠٧ كتاب العلم، مسلم ج ٣ ص ٢٥٢٤
كتاب الامارة ص ٥١

والخلفاء في جهادهم لإرساء دعائم الإسلام وهذا يعطى الداعية صورة
دقيقة عن الإسلام في كل شأن^(١)، ولذلك كان النبي ﷺ يختبر الدعاة
ليقف على مدى فقههم وعلمهم ودرأيتهم.

أخرج أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا
إلى اليمن سأله (كيف تقضى إذا عرض لك قضاء قال: بكتاب الله قال:
فإن لم تجد؟ قال: فبسنن رسول الله قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأي
ولا آلوأ فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول
رسول الله لما يرضى رسول الله)^(٢) وهذه الإجابة تدل على ما كان يتمتع به
سيدنا معاذ من علم شامل وبصيرة نافذة وموهبة ربانية تجعله أفقه الناس
وأعلمهم بدين الله بقول ﷺ (أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف
الناس)^(٣).

وقد ذكر السيوطي خمسة عشر علما من العلوم الضرورية لفهم كتاب
الله فقال لا بد منها للداعية وهي (علم اللغة: ليعرف بها شرح المفردات
وفهم مدلولاتها بحسب الوضع، والثاني: علم النحو لأن المعنى يختلف
ويتغير باختلاف الإعراب، والثالث: علم التصريف لأن به تعرف
الصيغ والأبنية، والرابع: علم الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه
من ما دتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح مثلا هل هو من المسح أو
السياحة، الخامس: علم المعاني لأن به يعرف خواص التراكيب من جهة
إفادتها المعنى، السادس: علم البيان وبه يعرف خواص التراكيب من حيث

- (١) راجع مع الله ص ٢٠٠ مرجع سابق.
- (٢) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٣٧٢ باب اجتهاد الرأي
في القضاء.
- (٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٥٣ مرجع سابق.

اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، السابع : علم البديع وبه يعرف وجوه تحسين الكلام ، الثامن : علم القراءات ، التاسع : علم أصول الدين ليعرف ما في القرآن من الآيات الدالة بطواهرها على ما لا يجوز على الله تعالى ، العاشر : علم أصول الفقه : لإذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط ، والحادي عشر : أسباب النزول والقصص ، والثاني عشر : الناسخ والمنسوخ . والثالث عشر : الفقه ، والرابع عشر : الأحاديث المبينة للقرآن الكريم ، والخامس عشر : علم الموهبه . وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم (١) . وفي هذا دلالة على تحقيق مطالب القرآن الكريم من إعداد الداعية على أساس من العلم اليقيني والمعرفة القاطعة لأن هذا هو الطريق الصحيح حيث لا يفيد الظن علما لأن الظن لا يفنى من الحق شيئا وحتى يكون الداعية ذا خبرة واعية وبصيرة نافذة عليه أن يدرس عالمه الذي يعيش فيه ويقف على أحوال مدعويه وظروفهم النفسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ... إلخ لأن توجيه الدعوة بغير الوقوف على هذه الأحوال يجعل الدعوة قائمة على غير بصيرة ، فأين البصيرة إذا كان الداعية يجهل حال المدعويين وكيفية توجيه الدعوة إليهم . وتحديد المنهج الذي يلزمهم : ولذلك يتحتم على الداعية دراسة العلوم الآتية :

١ - علم التاريخ : ليقف من خلاله على أحوال الأمم وتاريخ الرجال وتقلبات الأيام ، والتاريخ مرآة مصقولة تنجلي فيه عابئة الإيمان والتفوى وجزاء الإنم والفجور ولهذا عنى القرآن بذكر قصص السابقين وتاريخ الغابرين لما فيها من عبر بليغة وعظات حية (٢) ، قال تعالى :

(١) أنظر السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٨٠ ، ٢٨١

بتصرف

(٢) د/ يوسف القرضاوي : ثقافة الداعية ص ٨٨ طبع ونشر مكتبة

وهبه سنة ١٣٩٦ هـ

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) (١)

٢ - علم الجغرافيا : ليقف من خلاله على طبيعة البيئة وأعمال السكان لأهمية ذلك في التكوين الفكري والعقلي حتى بعد لسكل بيئة ما يناسبها من عظمات وما يتلاءم مع ميول السكان من أفكار .

٣ - علم النفس : والمقصود به علم النفس التجريبي الذي انتهت إليه الدراسات النفسية الحديثة والذي تقوم دراسة الطواهر النفسية فيه على أساس من الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار ويعتمد على الاحصائيات والأرقام لا على مجرد التأمل والافتراض ومن خلال هذه الدراسة يتعرف الداعية على اهتمامات الأفراد والجماعات فيوجه خطابه إليهم بما يناسبهم ويؤثر في نفوسهم دون ملل أو سآمة (٢) .

٤ - علم الاجتماع : ويحسن بالداعية أن يدرس أسس هذا العلم وأصوله وأحدث ما انتهى إليه رجاله من منظور إسلامي ومن منطلقات فكرية تتسجم مع الإسلام ونظراته إلى الدين والحياة والإنسان والتاريخ حتى يكون وسيلة لفهم أوضاع المجتمع ودراسة أسباب مشكلاته ومحاولة وضع العلاج الجذري لها (٣) .

٥ - المعرفة التامة بلغة المدعويين وهذا يتطلب أن يسكون الداعية عارفا بلغة القوم الذين يتوجه إليهم بالدعوة حتى يكونوا أقدر على السماع منه وقد بعث الله كل نبي بلغة قومه قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (٤) ولاستحالة نزول الدعوة الخاتمة بكل لغات العالم مسكن الله للعرب من لغات الأمم حتى استطاعوا تبليغ الدعوة إلى

(١) الآية / رقم ١١ / يوسف

(٢) أنظر ثقافة الداعية : ص ١٠٦ ، ١٠٧ مرجع سابق .

(٣) نفس المرجع ص ١٠٧ ، ١٠٩ (٤) الآية / رقم ٤ / إبراهيم .

غيرم من الناس وأصبح واجبا على الدعاة مواصلة الدراسة في اللغات العالمية حتى يملكوا القدرة على مخاطبة كل قوم بلغتهم ويرجموا مبادئ الإسلام بصورة واضحة (١) وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية . قال زيد : قال رسول الله ﷺ : أتخمن السريانية ؟ لأنها تأتيني كتب بها قلت لا : قال : تعلمها . فتعلمتها في سبعة عشر يوما (٢) .

إن دراسة الأوضاع العامة للدهون هو عين البصيرة والتغاضي عنها هو عين الجهل الذي يؤدي إلى فشل الدعاة في مهمتهم والبصيرة التي صرح بها القرآن الكريم هي التي تعهم الداعية عن القول بغير علم وتشعره بحاجته إلى المزيد من الثقافة والتربية وتمنعه من حاجة غيره بدون دراسة للوضوح وتحديد الهدف . فإذا ما حصن الداعية نفسه بالعلوم والمعارف بقدر ما يمكنه من الوقوف على أصول العلوم المتنوعة في التربية والأخلاق والملل والنحل والدراسات الإنسانية والأدبية والتاريخية وغيرها . حالفه التوفيق والسداد .

وبهذا يكون الإسلام قد حدد الإطار الذي يجب على الداعية أن يدور في فلكه لا يتخطاه وعدم الإلتزام به خروج على المنهج الأصل الذي دعا إليه وبجأفة للأسس القويمة التي رسمها وأمر بها وهادى العاملين في حقل الدعوة إلى تطبيقها والأخذ بها اقتداء بالرسول ﷺ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

(١) أنظر : د/ أحمد غلوش . الدعوة الإسلامية ص ٤٧٠ .

(٢) أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد الشيباني

ص ١٥٥ باب فضل العلم والعلماء - طبعه أولى القاهرة بدون .

أهم نتائج البحث

١ - حاجة الإسلام إلى دعاة يحسنون عرض مبادئه بأسلوب

عصري شيق يجيب الناس فيه بدلا من تنفيرهم منه .

٢ - نجاح الداعي في تبليغ الدعوة مرهون بالأسس والأساليب

التي يتبعها مما يوفر عليه الوقت والجهد ويجعله ينطلق في دعوته على هدى

وبصيرة .

٣ - تنوع الأسس تابع لتنوع الجماهير فطائفة تدعى بالحكمة

وأخرى بالموعظة الحسنة وثالثة بالمجادلة بالتي هي أحسن ويمكن توجيه

الدعوة بجميعها إلى شخص واحد نظرا لتباين أحواله وتغير مواقفه .

٤ - الحركة أسلوب الأنبياء في دعوتهم والافتداء بهم يمكن الداعي

من الوصول إلى فائته وتحقيق بغيته وفقا لاختياره ما يتلاءم من المناهج .

٥ - لا تكون الموعظة حسنة إلا إذا سلك بها الدعاة المنهج الأمثل

اقتداء بالرسل والأنبياء وفي قصص الأنبياء وسيرة الرسول ﷺ خير

زاد للدعاة .

٦ - أقر القرآن الكريم الجدل بالحق كأساس للدعوة مع اليهود

والنصارى ومشركي العرب فأقام الرسول ﷺ به الحججة عليهم بصدق

نبوته وعموم رسالته .

٧ - يعتبر المنهج الإسلامي في الحوار الهادى من الدعاة من أمسى

الطرق العلمية التي وصلت إليها الإنسانية في سبيل تحرير الفكر والضمير

بالقدبر الواعى والاعتناع العميق .

٨ - القدوة الحسنة من أخص صفات الداعية وهي الصورة الحية

التي تعكسها في سلوكه وأخلاقه .

لدعوته يراها الناس في كل تصرفاته فيظهر أثرها في نفوسهم لتأثرهم بلسان الحال أكثر من تأثرهم بلسان المقال .

٩ - لا بد أن يتسلح الداعي بالبصيرة والعلم وهذا يقتضى توظيف الوسائل والاستفادة من الاكتشافات العلمية الحديثة ووسائل الإعلام المتطورة في مجال الدعوة وفقا لخطة مدروسة وعمل متواصل .

١٠ - يشترط لنجاح الداعي أن يكون عالما بتفاصيل دعوته جامعا لأدلتها وبراهينها حتى يتسنى له عرضها وهذا لا يكون إلا بذل الجهود المتواصلة في تحصيل العلوم والبحث عن المعرفة والوقوف على أصول العلوم المتنوعة في التربية والأخلاق والدراسات الإنسانية وغيرها .

١١ - وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية إلى جميع الأمم والشعوب وفقا لمنهج مدروس وخطة محكمة حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك .

١٢ - التواصي بتطبيق هذه الأسس التي رسمها القرآن في تبليغ الدعوة وحث الدعاة على الالتزام بها فيما بينهم تأسيا بالنبي ﷺ .

واقه ولي التوفيق ؟

أهم مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم . فيه كتابا : ١٠ - رسالة : ٤١ - ٣١
- ٢ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ط حلب ١٩٨٠ م . ٨٧٢ ص
- ٣ - ابن كثير : السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد . ط عيسى الحلبي وشركاه بدون ،
- ٤ - ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ط الحلبي - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٥ - ابن حبان الأندلسي : البحر المحيط . ط أولى . مطبعة السعادة بالقاهرة بدون .
- ٦ - ابن القيم : زاد المعاد في هدى خير العباد . ط مصطفى الحلبي وأولاده ١٩٥٠ م .
- ٧ - ابن منظور الأفرنجي : لسان العرب . ط بيروت ١٩٥٥ م .
- ٨ - ابن هشام : السيرة النبوية . ط ثانية مصطفى الحلبي بمصر ١٩٥٥ م .
- ٩ - ابن تيمية : دره تعارض العقل والنقل . ط جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٨١ م .
- ١٠ - أبو حامد الغزالي : فيصل التفرقة . ط أولى طبع ونشر مطبعة الترقى بالقاهرة .
- ١١ - أبو حامد الغزالي : القسطاس المستقيم . ط بيروت مؤسسة الزغبى ١٩٧٣ م .

- ١٢ - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين طبع ونشر مكتبة صبيح وأولاده القاهرة بدون .
- ١٣ - أبو بكر ذكري : الدعوة إلى الإسلام مطبعة المدني ١٩٦٢ م .
- ١٤ - د/ أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية . ط دار الكتاب المصري اللبناني ١٩٧٨ م .
- ١٥ - آدم عبد الله الألورى : تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ط ثانية مكتبة وهبه بدون .
- ١٦ - الألوسى : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم . ط أولى . طبع ونشر المطبعة المنيرية .
- ١٧ - د/ التهامي نقرة : في ضوء القرآن والسنة . الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦ م .
- ١٨ - الجرجاني : التعريفات . ط بيروت بدون .
- ١٩ - الجويني : (إمام الحرمين) الكافية تحقيق د/ فوقية حسين محمود ط الأولى بالقاهرة .
- ٢٠ - الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه ط ٢ بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٠ م تعليق إسماعيل الأنصارى .
- ٢١ - د/ رؤوف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهد المهدي . ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٤ م .
- ٢٢ - الرازي : مفاتيح الغيب . المطبعة المصرية ١٩٣٣ م .
- ٢٣ - الواغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ط مصطفى الحلبي ١٩٦١ م .

- ٢٤ - رفاعي سرور : حكمة الدعوة . مكتبة وهبه القاهرة .
- ٢٥ - سيد قطب . في ظلال القرآن . ط رابعة دار الشروق ١٩٧٨ م .
- ٢٦ - سيد سابق : دعوة الإسلام . ط أولى دار الكتاب العربي . بيروت ١٩٧٣ م .
- ٢٧ - السيوطي : الإتيان في علوم القرآن . ط ثالثة نشر مطبعة الحلبي بمصر ١٩٥١ م .
- ٢٨ - د/ عبد الحلیم محمود : أوروبا والإسلام . مطابع الأهرام التجارية القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٢٩ - د/ عبد اللطيف حمزة : الاعلام في صدر الإسلام . ط ثانية دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٣٠ - د/ عبد الوهاب كحيل : الأسس العلمية والتطبيقية للاعلام الإسلامي . ط مكتبة مصر بالفيجالة ١٩٨١ م .
- ٣١ - فتحي يكن : الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية . ط سابعة نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٣٢ - القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى . ط أولى المطبعة الأزهرية ١٣٢٥ هـ .
- ٣٣ - محمد الخضر حسين : الدعوة إلى الإصلاح . طبع ونشر دار الاعتصام الدمام ١٩٨١ م .
- ٣٤ - محمد الغزالي : خلق المسلم . ط سابعة دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- ٣٥ - محمد الغزالي : مع الله دراسات في الدعوة والدعاة . ط ثالثة مطبعة تخيمر ١٩٦٥ م .

- ٣٦ - محمد الغزالي : جدد حياتك . ط القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٣٧ - محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية . ط ثانية دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت بدون .
- ٣٨ - د/ محمد السيد الوكيل : الدعوة وآداب الدعاة . ط ثانية دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٩٨٦ م .
- ٣٩ - د/ محمد أبو الفتح البيانوني : المدخل إلى علوم الدعوة . ط أولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩١ م .
- ٤٠ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط .
- ٤١ - النسفي « تفسير النسفي : طبع ونشر دار إحياء التراث العربي بالقاهرة .
- ٤٢ - النووي : شرح صحيح مسلم . طبعة الحلبي بمهر بدون .
- ٤٣ - د/ يوسف القرضاوي : ثقافة الداعية طبع ونشر مكتبة وهبة القاهرة ١٣٩٦ هـ .